

استيقظ يا بني

للمؤلف / انور غلام

روايات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
دار ساجد للنشر والتوزيع
الطبعة الأولى 1444 هـ 2022م.
الإيداع القانوني: 2022/08
ردمك: (1- 41 -895-9931-978) ISBN

اسم العمل: أسبغت يا بني
اسم المؤلف: أزهر غالم

المدير العام: صيام يمينة حرم برحابل.
مدير النشر: عبد الحميد مشكوري.
التنسيق والتدقيق: براهيمي آسيا / عبد الحميد مشكوري.

صفحة الدار على موقع الفيسبوك:
FACEBOOK.COM/SADJED.EDITION
الموقع الإلكتروني: SAJEDEDITION@GMAIL.COM

الهاتف/الفاكس:

0541389203/0794210405/0664509953/033554911

الناشر: دار ساجد للنشر والتوزيع



جميع حقوق النشر الورقي والإلكتروني والمبرئي والمسموع محفوظة للناشر وغير مسموح بتداول هذا الكتاب
بالقص أو النسخ أو التعديل إلا بإذن من الناشر.

[الآراء الواردة في هذا الكتاب تعبر عن وجهة نظر المؤلفين فقط ولا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر الناشر.]

رواية



اسنقظ با بنق
للمؤلف / زهر عالم

إلهام

إلى روح أخي الشيخ عمار غالم الذي ترك فراغا كبيرا

وعزاؤنا أنه أمر الله الذي لا يقابل إلا بالرضى

رحمة الله عليه.

إلهام غالم



(1)

كان نائماً فظهر له أن والده دق باب الغرفة ثم قال: استيقظ يا بني، استيقظ يا عبد الله حان الوقت لتذهب إلى مدرستك.

- كم السّاعة الآن يا أبي؟

- الرابعة صباحاً.

نهض من فراشه ولسانه يردد: «أصبحنا وأصبح الملك لله»

بحث عن نعله تحت السرير، سحبه في خفة، ثم ذهب إلى الحمام، توضأ تحسباً لصلاة الصبح.

- عبد الله وحيد والده، فبعد وفاة والدته وهو لا يتجاوز الخامسة من عمره، وحدث ما حدث، رفض والده الزواج منذ ذلك الوقت.

أكثر من ثمانية عشر سنة وهذا الأب الذي تجاوز عمره الخمسين، يكافح من أجله، من أجل دراسته، من أجل أن يعيش ويحيى سعيداً، اشتغل بواباً، بناءً، فلاحاً، مربي أغنام كي يصنع منه رجلاً.

الآن كبر، وفي هذه السنّة سوف يجتاز امتحان شهادة البكالوريا علوم الطبيعة.

ما إن توضأ حتى اقترب من الخزانة الصغيرة ذات الباب الواحد القريب من السرير، فتح أدراجها، سحب سرواله ووضعه فوق

السّرير، ثم القميص الأبيض، وبسرعة مرر عليهما المكواة مع القليل من الماء.

لبس السّرّوال ثم القميص، بحث عن حذائه هنا وهناك، وجده خلف باب الغرفة، تقدم إلى الطّاولَة التي تتوسط الغرفة، وجمع كل الكتب والكراريس المبعثرة فوقها ووضعها في محفظته، جمع بعض الملابس الدّاخلية والقمصان والمنشفة ومعجون الأسنان والفرشاة ووضعهم في الحقّبية.

قدم الأب سي عمر لابنه حليب البقرة، وقطع من السكر، والخبز الذي صنع من القمح، شرب عبد الله الحليب وهو قائم أمام الطّاولَة في عجلة، ثم أخذ قطعة من الخبز ودسها في محفظته.

- قال الأب: أمامك نصف ساعة قبل مغادرة الحافلة، اجلس وكل يا بني.

- عبد الله: ليس لدي الوقت يا أبي لو تخلفت دقيقة واحدة سوف تسير الحافلة وتركني، لن ينتظرنني السّائق.

كان على عبد الله الانتقال إلى محطة المسافرين حيث تقف حافلة البلدية، هذه الأخيرة التي خصصتها للطلبة الذين يتنقلون من هذه القرية إلى المدينة للدراسة في الثانوية، وأغلبهم نظام داخلي.

هو يعلم أنه لو تأخر سوف تذهب الحافلة بدونه، وتركه للنقل الخاص حيث يدفع مبلغا مضاعفا للوصول إلى الثانوية.

تبعد القرية عن المدينة أكثر من 36 كلم، تنتقل إليها الحافلة مرة واحدة في الأسبوع لأخذ التلاميذ وترجع إليهم يوم الخميس لإعادتهم للقرية.

- لم أنم البارحة يا أبي.

- نعم كانت ليله طويلة، كاد اللص أن يسرقنا.



(2)

في تلك الليلة وعلى السّاعة الثانية صباحا تسلل لص إلى منزل سي عمر عن طريق عمود كهربائي ملتصق بجدار البيت، دخل إلى السّاحة، بدأ يتجول في المنزل ويتحسس على الغرف، كان هذا اللّص يعتقد أن البيت خالي من سكانه، يريد سرقة أي شيء بجده أمامه.

ولما كان الظلام دامسا تعثر في ساحة البيت وارتطمت رجله بكأس حديدي فأحدثت ضجة كبيرة لأن الأرضية كانت كلها مغطاة بالبلاط الحجري.

صاح سي عمر من غرفته: استيقظ يا ولدي، هناك لص في ساحة البيت.

ارتعد اللص، واتجه مباشرة إلى خشبة طويلة مرمية في الساحة بالقرب من الجدار، رفعها ووضعها على الحائط، وبسرعة تسلقها وصعد إلى السّطح ثم نزل عبر العمود الكهربائي وفر، ولم ينتبه لمسدسه الذي سقط داخل السّاحة. وبعد نجاته اكتشف أنه أضاع مسدسه.

- في الصباح ذهب إلى بعض أصدقاء ومعارف سي عمر، كانت صراحته تشبه قلبه الأدب.

قال لهما: دخلت إلى بيت سي عمر، ولما تفتن لوجودي بالبيت تسلقت الجدار، ارتججت فسقط مني مسدسي، وأنا أطلب منكما أن تكونا واسطة خير، وتعيداه لي وأنا مستعد لدفع أي غرامة مقابل استرجاعه.

في ذلك الصباح وبعد خروج عبد الله من المنزل قاصدا الثانوية، دق الباب، اعتقد سي عمر أن ولده نسي شيئا ما. بادر لفتح الباب، فإذا بجاره المسعود الذي يرتدي برنوسا أبيضاً يتكأ على عكاز، وقريبه البشير الذي يرتدي قشابية. قال المسعود: صباح الخير يا سي عمر، لدينا موضوع نريد أن نكلمك فيه.

- تفضلاً بالدخول أولاً نشرب القهوة ثم نتكلم في الموضوع الذي تريدان التحدث فيه.

- البشير: ابن اللئيمة.

- سي عمر: ماذا تريد أن تقول؟

- البشير: أردت أن أقول لك أن "السعيد الزوفري" الذي يسكن في الشارع الكبير من قريتنا، جاءنا هذا الصباح وأخبرنا أنه دخل إلى بيتك البارحة، ولما اكتشفت أمره فر، وسقط منه المسدس، وهو يطلب منك إعادته وهو مستعد لأي غرامة تفرضها عليه جراء ما فعل لحرمة بيتك وسكنك.

نظر سي عمر إلى جاره المسعود ولا يعرف ماذا يقول، فظهر له أن ينكر كل شيء، رغم أنه يعلم أن حبل الكذب قصير. سي عمر: لا أعرف عما تتكلمان عنه، فأنا لم يقتحم بيتي أي لص.

سكت برهة ثم أردف قائلاً: لم استيقظ منذ نمت بعد صلاة العشاء إلى الساعة الرابعة، حيث أيقظت ابني للذهاب إلى المدرسة.

قال الجار المسعود: هكذا إذا، ربما يكون قد تشابهت عليه المنازل.

رجع المسعود والبشير إلى اللص "السعيد الزوفري" وأخبراه بما سمعا.

قال السعيد الزوفري: طيب، يريدني أن ألوي ذراعه، أعرف كيف أعيد مسدسي.

سي عمر لديه بقرة حمراء وهي مصدر رزقه منذ سنوات، يأخذها كل صباح إلى البستان لترعى ويعود بها مساءً، في ذلك اليوم ترصد له السعيد، ذهب إلى البستان وأخذ البقرة إلى وجهة مجهولة، ثم أرسل إليه وسأومه في الأمر، البقرة مقابل المسدس.

أجبر سي عمر على إعادة المسدس ورجعت له البقرة سالمة غانمة.

(3)

خرج عبد الله من البيت على الساعة الرابعة والنصف صباحا، ووصايا والده تدغدغ ذاته:

- ثق في الله حيثما كنت.
 - اعمل بما تعلمت فلا فائدة للعلم دون عمل.
 - احرص على استمرار في طلب العلم النافع.
 - علم من لا يعلم، فلك أجر.
 - تدرج في طلب العلم.
 - احرص على حسن الخلق.
 - كن أميناً مع الجميع.
- أسرع عبد الله في مشيته وهو يحمل محفظته بيد، ويمسك باليد الأخرى الحقيقية وقد أسندها إلى كتفه، ثم رن صوت والده في أذنه: «سلم على عمك خليفة الذي يضمن فيك منذ ثلاث سنوات».
- عمي خليفة يسكن المدينة، رجل تجاوز 50 سنة متقاعد، وهو حالياً لا يعمل أي شيء، كل وقته في مقرى المدينة، مقرى النظام، يلعب الدومينو.

مهمة الضامن أن يكون وكيلا على التلميذ الداخلي، إذا وقع للطالب أي حادث تقوم الإدارة بإبلاغه وطلبه لتسوية الأمر. كان شارع القرية دون إنارة، يعيش أهله في ظلام دامس، لا يوجد فيه مصباح واحد، ولولا ضوء القمر لدخل الأهالي في جدران هذا الشارع الطويل.

لما وصل إلى الطريق القريب من موقف الحافلات، بدأت تظهر مصابيح السيارات والحافلات ثم ظهر له مصباح قوي الإنارة وسط الطريق.

خرج شيخ لطالب يحمل محفظته الشبيهة بمحفظة عبد الله السوداء المصنوعة من الجلد.

قال عبد الله في نفسه: يبدو أنه زميل من الزملاء يريد الذهاب إلى الثانوية.

اقترب منه ثم سلم عليه

- صباح الخير عبد الله.

نظر عبد الله للطالب الذي اعتقد أنه رآه لأول مرة، رغم أن وجهه مألوف بالنسبة إليه، كان في مثل سنه، بل نفس طوله، تسريحه شعره، غير أن لباسه أسود كله كظلام هذا الصباح.

رد: صباح الخير، أين وجهتك؟

الطالب: ألم تعرفني؟ أنا خليلك، أنا مجان.
ماذا بك؟ هل فقدت الذاكرة؟ تذكر جيدا في الأسبوع الماضي
عندما كنت أجلس معك في طاولة واحدة داخل القسم،
ورميت تحت أستاذة الفيزياء مفرقة واهتزت إلى السقف ثم
سقطت...

عندما دخلت الطالبات إلى المطعم المدرسي وتركن حقائبهن
في السّاحة وقمنا بأخذ كل مواد التجميل ورمينا بها في
القمامة.

نظر إلى مجان وقال: الحافلة على وشك الإقلاع، أسرع علينا
أن نجد مكانا للجلوس وإلا سوف نقطع مسافة 36 كيلومتر
وقوفا.

مجان: هذا صحيح هيا بنا.



(4)

صعد عبد الله إلى الحافلة، سلم على الركاب: "صباح الخير" ثم نظر نظرة خاطفة يتفقد الأماكن الشاغرة، لفت انتباهه كرسي في الأخير شاغرا، اتجه نحوه تم وضع المحفظة والحقيبة تحت الكرسي ورمى بجسده المنهك على كرسي بلاستيكي أحمر.

الحافلة تحتوي على 20 كرسي بلاستيكي، أما وسطها فهو عبارة عن ساحة مخصصة للوقوف. الكراسي الخلفية عالية نسبيا على بقية الكراسي الأخرى لأن تحتها المحرك، بدأ مجان يتفرس في وجوه الطلبة والطالبات.

صوت المحرك قوي جدا حتى أنه لا يستطيع الطالب سماع زميله القريب منه عندما يكلمه، بدأت الحافلة تمتلئ بالمتدربين، بينما السائق يقوم بتسخين محركها، لاحظ مجان أن عبد الله يركز نظره في مرآة الحافلة الداخلية على بعض وجوه الطالبات اللائي يقفن خلف السائق مباشرة.

هناك طالبة محجبة جميلة بيضاء عيناها سوداء، وجهها دائري كالقمر تراقب تحركات عبد الله فتلتقي أعينهما لثانية، ثم يميلان كليا عن المرآة. الأضواء الداخلية للحافلة منيرة، من خلالها اكتشف مجان أن عبد الله له علاقة بهذه الفتاة.

- قال مجان: أه منك أيها الماكر، لقد اكتشفت سرّك.

- عبد الله: ماذا تريد أن تقول؟

- مجان: هذه القروية.

ثم أردف بصوت مرتفع: هل تفكر في الزواج؟

ابتسم عبد الله ثم قال: الزواج؟ قل الخطبة، أين أنا وأين

الزواج؟

أمامي مائة سنة على الزواج، أمامي شهادة البكالوريا ثم

الجامعة ثم الخدمة الوطنية، ثم البحث عن العمل، ثم

جمع المال ثم أفكر في الأمر.

رد مجان وكأنه يخطب في مسجد بصوت مرتفع: حقا الزّواج

يحتاج إلى مهر وجهاز وغرفة نوم وذهب ومجموع ذلك أكثر

من مائة مليون.

أتعرف لو عندي نصف هذا المبلغ لهاجرت إلى الخارج، ولو

أجبرت على المكوث في هذه القرية سوف أشتري بقرة أو

خرفان وأتاجر وافتح مشروعا.

بربك ما الفائدة من الزواج؟ لن أورط أحدا في هذا العالم

التعس، هذا العالم البائس.

في رأيك، هل مشروع مريح أفضل، أم الزواج؟ منذ أن
تستيقظ وأنت تسمع هات هات.
همس مجان في أذن عبد الله: هل تعرفها؟
رد عبد الله: من؟
مجان: هي.
عبد الله: نعم، اسمها حياة.



(5)

عندما أذن المؤذن لصلاة الظهر خرج سي عمر من بيته وهو يرتدي برونسا قاصدا المسجد، وقبل أن يغلق الباب تذكر أنه لم يقدم للبقرة التبن فعطف إلى الزريبة وهو يحمد الله عزوجل على عودتها دون أذى.

أعاد سباغة الوضوء وخرج إلى المسجد، صلى صلاة الظهر جماعة، ثم رجع وجلس أمام بيته المتواضع فوق دكة. لحق به جاره المسعود وقريبه البشير وجلسا تحت أشعه الشمس الدافئة.

قال المسعود: قصتك يا سي عمر قصة غريبة. هل أعدت له المسدس؟

رد سي عمر: نعم كنت أريد تأديبه، دعك منه لقد ذهب إلى حال سبيله.

سكت الجميع برهة من الوقت ثم أردف قائلا: كم هي قصيرة؟

المسعود: من هي؟

سي عمر: هذه الحياة، فقد مرت 18 سنة منذ ولادة ابني، وكأنها بالأمس.

18 سنة وأنا أطهو بنفسي وأغسل وأطبخ و...

المسعود: كان عليك الزواج، الزوجة يا سي عمر وأنت أدري بذلك تختصر لك الحياة.

سي عمر: صحيح لو تزوجت لقضت علي واختصرت حياتي في الشهر الأول.

وقف سي عمر وهم بالدخول إلى بيته: المعذرة يا أصدقائي، سوف أقوم بحلب البقرة، ومخض الحليب لأقتات عليه، لقد فاتت علي ليلة سوداء وأشعر بالتعب والإرهاق، أشعر بدوار من أثر الجوع.

المسعود: ولماذا كل هذا العمل وأنت بمفردك؟

لو تحمل صحنك وتدق أي باب من أبواب هذه القرية وتطلب منهم الأكل لأعطوك.

غضب سي عمر غضبا شديدا، وظهر له أن المسعود يستهزئ به وينتقده في حياته.

صرخ في وجه جاره: شلّ لسانك، اللعنة عليك وعلى أهلك، أنا أحمل صحنني وأدق الأبواب طلبا للصدقة، يا لك من وقح، تبا لك ولأهلك.

أخرج سي عمر سكين "شمام ذيلو" ثم أقسم: والله العظيم اليوم أقتلك، أشرب من دمك يا كلب، أنا أطلب صدقة.

اجتمع بعض الأهالي وقاموا بالتفريق بينهما، ثم قال له البشير
وكان يسمع حديثهما: ما هذا يا سي عمر؟
الرجل يلهو معك، يلعب، أقسم بالله لقد تغامز مع أصدقائه
وقال لهم: اليوم سوف أغضب سي عمر.

جلس سي عمر ووحيد الله، ثم دخل إلى بيته، غسل وجهه لعن
الشیطان الرجيم، مكث يفكر في هذا الأمر ثم خرج أمام بيته
مرة أخرى، رأى جاره المسعود وهو يدخل منزله.

ذهب إلى الخضار، اشترى بطيخه كبيرة ثم حمل صحنه واتجه
إلى منزل جاره المسعود ودق الباب.

صاح المسعود من خلف الباب: من الطارق؟

سي عمر: المتسول، صاحب الصحن.

تفاجأ المسعود ثم تذكر أن جاره أقسم ليشرب من دمه، وحدث
نفسه: لعله جاء لقتلي.

تقدم من الباب في شجاعة مستعداً لكل شيء ثم فتح الباب.

- قال سي عمر: ها أنا جئت بالصحن.

- رد المسعود: تفضل تفضل.

احتضن كل منهما الآخر ولسانهما يردد المعذرة، المعذرة بحكم
الجوار والملح.

- المسعود: والله كنت أمزح معك.

(6)

لما وصلت الحافلة إلى المدينة توقفت أمام الثانوية الجديدة وأقول الجديدة لأنها بنيت قبل بضع سنوات، ولم تكتمل بعد، أنهى المقاول بناء الأقسام والإدارة مع بداية السنة قبل الماضية. جمع المقاول الألواح الكثيرة مع بداية السنة الحالية ووضعها أمام الثانوية حيث توجد مساحة كبيرة من الأراضي الشاغرة الغير مبنية المليئة بالحجارة التي تقبع تحتها العقارب والأفاعي.

أما الطاقم التربوي والإداري اللذين جمعتهم هذه الثانوية فقد أتى كل واحد منهم من مكان من هذه البلاد، حيث لا يعرف أحدهم الآخر.

تم توظيف الأساتذة في الثلاث سنوات الأخيرة تزامنا مع فتح هذه الثانوية.

لما نزل الطلاب من الحافلة أمام مدرستهم الثانوية، كانت الساعة تشير إلى الخامسة والنصف صباحا، هبط الطلاب من الحافلة أمام هذا الصرح الجديد، والجو بارد جدا، والظلام دامس، غير أن مصباح صغير ذو إضاءة ضئيلة ينير حوالي مترين أمام المدخل. اجتمعت الطالبات تحت ذلك المصباح كقطيع الأغنام، وقد حشر بعضهم البعض اتقاء

للرياح القوية التي كادت أن تقلع الأشجار المحيطة بالثانوية من جذورها.

دقت الطالبات الباب غير أن الحارس رفض أن يفتح، وقال بصريح العبارة: لا يسمح لي أن افتح الباب قبل الساعة السابعة والنصف، إذ لو دخل أحد وحدث شيء ما وسط المؤسسة لن يرحمني أحد.

أما الطلبة فقد اجتمعوا بالقرب من ألواح المقاول، وقاموا بإشعال النَّار. اقترب عبد الله من النَّار وهو ينظر إلى حياة التي كانت كالعلم وسط أقرانها.

- سأل مجان: كيف تعرفت عليها؟

- عبد الله: هي قصة طويلة يا صديقي، كنت صغيرا حوالي خمس سنوات عندما تعرف والدي على والدتها الأرملة، والذي يعمل في إحدى المؤسسات بهذه المدينة، تزوج بها زواجا مؤجلا عرفيا مدته سنة، الأرملة محتاجة إلى من يصرف عليها ويزودها بالمال وأبي يحتاج إلى ونيس في هذه المدينة.

كان والدي يأتي إلى المدينة بحجة العمل كحارس لإحدى العمارات، ويبقى شهرا كاملا وهو في بيت زوجته الجديدة

"شريفة" وابنتها "حياة"، أحيانا يأخذني معه، ألعب مع هذه الصغيرة.

ذات يوم مرضت أمي، وذهبت معها إلى طبيب مختص في الأمراض الصدرية بالمدينة، التقت والدتي بالشريفة زوجة أبي في العيادة ولم تتعرف عليهما، أما أنا أسرعت لأسلم على "حياة" ولألعب معها، سحبتني أمي في زاوية من زوايا القاعة وسألتني: من هذه الطفلة ومن أمها؟ كيف تعرفت عليهما؟

وبكل براءة أجبت: هذه شريفة زوجة أبي التي نبيت عندها في المدينة أنا وأبي، وتلك ابنتها.

سقطت أمي بطولها وسط القاعة، حيث ارتفع ضغط دمها، وبعد خمس ساعات من الغيبوبة في غرفة الإنعاش، خرج الخبر الذي نزل علي كالصاعقة: ماتت أمك يا عبد الله. نزلت قطرات من الدموع من عين عبد الله ثم بصعوبة قال: إذا ماتت أمك، فستنام على عتبة الدار.

- مجان: هذا صحيح.

- عبد الله: يقال بأن الأم مدرسة، توسع مدارك الإنسان، تسمو بهم إلى الأفضل وتعد رجالا ينتفع بهم العباد والبلاد. فراق الأم ألم لا يشعر به إلا من عاش فيه.

(7)

لما دقت السّاعة السّابعة والنصف فتح الحارس باب الثانوية، دخل الطلبة والطالبات إلى السّاحة وقد أخذ البرد منهم كل مأخذ، لولا الألواح التي قاموا بإشعالها.

اتجه عبد الله ومجان رفقة بعض الطلبة إلى الأقسام يحتضنون المدافع، وبعد أن سرى الدفاء في أجسامهم نفذ مجموعة من الطلبة عملهم الروتيني الذي يقومون به كل صباح، ألا وهو قلب طاولات وكراسي الطالبات المتكبرات، حاول عبد الله أن ينهاهم عن عملهم، لكن دون جدوى إذ كان الطلبة يتلذذون بهذا الفعل.

تشتكي الطالبات لأستاذ اللغة: سيدي، انظر كيف قلب هؤلاء الطاومات، ليتنا نعلم لما يفعلون ذلك؟

يرد الأستاذ: من أخبركم بذلك؟ من قال لكم بأن الطلبة هم من قاموا بهذا الفعل؟ لعله الحارس الذي أراد كنس القسم. يقوم مجان بكتابة بعض الكلمات النابية على السبورة، يرسم بعض الأشكال والوضعيات المخلة بالحياء.

دخل طالب من السنة الثانية إلى القسم، اقترب من مجان وطلب منه بذلة رياضية لأنه لم يحضر بذلته، ولديه حصة رياضة صباحا.

- قال مجان: لدي سروال رياضي وهو تحت البنطالون الذي أرتديه، تعال معي إلى المرحاض لأعيرك إياه.
دخلا معا.

- قال الطالب: بسرعة بسرعة.

- مجان: سوف أنزع السروال، دقيقة واحدة.
وفي هذه اللحظة وقف المراقب العام خلف باب المرحاض وسمع حديثهم.

دق الجرس فأسرع التلاميذ إلى الساحة لرفع العلم، خرج مجان وصديقه من المرحاض، نظر إليهما المراقب نظرة شك مما يفعلانه بالداخل.

- قال مجان: أعرتة سروالي الرياضي.

اصطف الجميع أمام سارية العلم ينتظرون طالبا وطالبة لرفع العلم.

شغل المراقب أسطوانة النشيد الوطني، وضغط على مكبر الصوت، والجميع على أهبة الاستعداد بينما مجان كان ينشد بصوت خافت يسمعه كل الطلبة الذين بالقرب منه:

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع

وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاع
بعد التحية ورفع العلم الوطني اقترب أستاذ التربية
الإسلامية من الصّف، وأمر رئيس القسم بالسير اتجاه
الحجرة. أسرع رئيس القسم في مشيته إلى السبورة، وقام
بمحو كل ما كتبه الطلبة المشاغبون وما رسموه، وسوى
الطاولات والكراسي المقلوبة.



(8)

أستاذ التربية الإسلامية أستاذ متواضع، يرتدي خارج القسم قميصاً أبيض اللون، لديه لحية خفيفة في الذقن، تشبه الباقية.

في السنوات الأخيرة شارك في مسابقة التعليم، نجح وكانت مرتبته الأولى في الدفعة، ويقال بأنه كان من الأعضاء الفاعلين في الحزب المنحل، مشي في جميع المظاهرات المعارضة للسلطة في تلك السنوات حتى بح صوته من قول: «لا إله إلا الله، عليها نحيا، وعليها نموت، وفي سبيلها نجاهد، وعليها نلقى الله».

درس في الجامعة الإسلامية وكان من المقربين لقيادة الحزب، وهو أول من لبى مقاطعة التدريس والاعتصام وكتب بنفسه وفي غرفته بالحي الجامعي الكثير من اللافتات: "لا دراسة لا تدريس حتى يخرج الرئيس".

وبعد تخرجه أنشأ جمعية البر والإحسان الخيرية، ثم قام بشراء زورق صغير لصيد السمك، لأن بيته قريب جداً من البحر، يحب الدعوة، ينتقل من مدينة إلى أخرى لإخراج الناس من الضلالات ومن عبادة العباد إلى عبادة رب العباد.

أما الآن فهو نموذج للأستاذ الجاد، ذو هندام نظيف، أحيانا يرتدي قميصا وسروالا قصيرا، ولأنه أعزب يجد مضايقات من بعض الأستاذات، لكن هذا لا يهمننا.

كان رجل علم بمعنى الكلمة، لديه حسب بعض الأقوال مئات الكتب والمجلدات، مكتبته عامره، لكن الغريب أنه لا يملك لا راديو ولا تلفاز لأنهما بدعه حسب قوله، فقد تبث فيهما الأغاني والأفلام المجانة التي نهى عنها الإسلام.

ذات يوم جهر بها صراحة قال لطلبته: كيف تجرؤ أيها المسلم أن تنظر إلى التلفاز الذي تظهر فيه النساء كاشفات لشعرهن وصدورهن، هل هذا حلال أم حرام؟ أجيبيوا. أستحلفكم بالله العظيم أن تجيبيوا، هل تعلمون عقوبة ذلك؟

عقوبة من يسمع للأغاني، يعرض نفسه للخسف والمسخ إلى قرد أو خنزير.

كانت للأستاذ كلمة "يا أحبائي" يستعملها في كل وقت هي جوكر حديثه.

فيقول مثلا: ما هذا يا أحبائي؟ أحبائي الصغار، أحبائي في الله، حتى أطلق عليه بعض الطلبة اسم: حبيبي.

فيقال مثلاً: من الذي يدرسكم التربية الإسلامية، يجيب الآخر: حبيبي. والغريب أنهم لحد الساعة لا يعرفون اسمه الحقيقي.

دخل أستاذ التربية الإسلامية إلى القسم، سلم على طلبته، ثم اتجه نحو المكتب حيث وضع المحفظة، أخرج منها المذكرات والكتاب المدرسي والطبشور تقدم من السبورة وكتب تاريخ اليوم: السبت 18 جانفي 1992م. المادة: تربية إسلامية، الموضوع: براهين وجود الله تعالى.



(9)

بدأ الأستاذ درسه قائلاً: بعض الملاحدة يسألون، هل الله موجود؟

والبعض الآخر يسأل: لماذا الوجود بدلاً من العدم؟
هل نمتلك إرادة حرة؟

هل هناك حياة بعد الموت؟
من أين جئنا وإلى أين نسير؟

الإجابة عن هذه الأسئلة الكثيرة يا أحبائي كلها في القرآن الكريم.

نعم الله موجود، قال تعالى: ﴿قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾، ﴿وَلَيْنِ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾

الأدلة على وجود الله أحبتي كثيرة ونقتصر في هذا الدرس على:

- دليل الفطرة: وهو شعور الإنسان بأن فوق الكائنات المتناهية كائن غير متناه، يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه».

- سؤل أعرابي: كيف عرفت ربك؟
- أجاب: البعرة تدل على البعير، وآثار الأقدام تدل على المسير، فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج ألا تدل على اللطيف الخبير.
- دلالة الكون: قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ ۖ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾.
- وتوجد يا أحبائي أربعة أدلة كونية:
- دليل الخلق:
وهو إيجاد الشيء من العدم قال تعالى: ﴿خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ﴾ فالحياة يا أحبائي بها قوانين متناهية الدقة في كل المجالات.
- دليل التسوية:
﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾
وهذه التسوية تظهر في جميع المخلوقات: الإنسان الحيوان النبات.
- دليل التقدير:
- سئل أحدهم: ما الدليل على وجود الله؟

- قال متى غاب ربكم حتى أعطيكم دليلا على وجوده، ومع ذلك فإن الله خلق كل شيء بمقدار وميزان قال تعالى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ الإنسان خلقه الله تعالى فأحسن خلقه وكذلك الحيوان.

- دليل الهداية:

قال تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ فقد زود الله كل الحيوانات بالحواس والأطراف التي يحتاجها، زود الأسماك بالزعانف، وزود الطيور بالأجنحة. رفع مجان يده ثم قال: ما هذه البراهين يا أستاذ؟ التي لا تصح أن تحتاج بها لا اليهود ولا النصرارى ولا الملاحدة. هذه البراهين تصلح أن تزود بها الإنسان البدائي، قدم لنا يا حبيبي أدلة علمية مادية على وجود الله، نحن في عصر العلم.

وقف ووضع يديه على الطاولة وأضاف: أنا كذلك لدي فكرة عن الوجود والخلق، أنا أرى بأن الطبيعة هي التي خلقت الإنسان وزودته بالحواس والعقل. حياة الإنسان في هذا الكون مجرد صدفة أو طفرة، والله هو الحياة نفسها روح واحدة، روح الله ساكنة في أجساد البشر كلهم.

الأمر كله يا حبيبي: "إنما هي أرواح تتناسخ في صور، فمن كان محسنا جوزي بالإحسان بأن تنتقل روحه إلى جسد فاخر حيث لا يلحقه ألم ولا ضرر ومن كان مسيء تنتقل روحه إلى جسد يلحقه الألم".

بدأ وجه الأستاذ يحمر وظهرت عليه علامات الغضب ثم صرخ في وجهه: ماذا تقول؟ هل جنت؟

أنا أتحداك يا هذا أن تأتي دليل واحد على عدم وجود الله. كلامك كفر، إلحاد، زندقة وسأشكوك للمدير، وسوف أرفع له تقريرا عن إلحادك وانحلالك في القسم، لا يمكنني أن أسكت عن هذا التسيب. أخشى ما أخشاه أن تقوم بنشر هذه الأفكار وسط هذه البيئة المسلمة.

دق الجرس، جمع الأستاذ أدواته، وأوراقه وهو يردد، أستغفر الله، أستغفر الله العظيم، وانصرف.



(10)

بعد برهة من الزمن، بدأت الفوضى في القسم، دخل أستاذ العلوم الطبيعية وهو من أروع الأساتذة، فسكت الجميع. أغلب الأوقات يقضي هذا المدرّس وقته في المخبر، يجري التجارب ويعيدها مرارا وتكرارا في أوقات فراغه، حتى إذا كانت الحصّة لا يضيع الوقت في التجارب الفاشلة. لديه مساعد مخنث يضع أحمر الشفاه، لكن في أغلب الأوقات يقوم بتسريحه ليبقى بمفرده في المخبر.

كان طويلا يرتدي بذلة سوداء وربطة عنق حمراء، والمعروف عنه أنه لا يحب أي حركة عندما يقدم الدّرس، فهو دقيق في كلامه دقيق في حركته.

وقع حادث في بداية الأسبوع الماضي، بقي راسخا في أذهان الطلبة، كان الأستاذ يشرح الدّرس بينما أحد الطلبة بدون شعور منه وضع إبهامه في فمه.

أخرج الأستاذ من جيبه رضاعة وقدمها له ثم قال: لماذا ترضع أصابعك؟ خذ هذه أحسن.

من أين جاء بهذه الرضاعة؟ هل هي لأحد أبنائه؟ هل اشتراها خصيصا؟ هكذا تساءل الطلبة.

في الحصبة التي تلت تلك الحصبة وقع حادث آخر هذه الواقعة التي ترسخت في أذهان جميع الطلبة، فقد درّس الأستاذ فوج الإناث في المخبر وكان الدّرس من أصعب الدّروس على الأستاذ، لأن موضوعه يدور حول التناسل، وكان يستحي كثيرا، لذلك استعان بالتلميذين عبد الله ومجان أجبرهما بالحضور في فوج الإناث، يشرح الدّرس وهو ينظر إليهما وتارة يحدق إلى السبورة لأنه لا يستطيع النظر إلى وجوه الطالبات.

سأله مجان عن الدورة الشهرية، يريد إحراجه.

تفطن له الأستاذ: سوف أجيبك عنها بعد انتهاء الحصبة. لما دق الجرس معلنا نهاية الحصبة، رفع مجان يده طالبا الانصراف، لأن لديه موعد مع حياة في غرفة الغاز، وهي غرفة فارغة خلف الأقسام.

- قائلاً: أريد أن أستريح.

- أجابه الأستاذ: الدّرس لم ينتهي بعد، سوف تخرج مباشرة بعد أن يدق الجرس الدقة الثانية، ويعود الطلبة إلى أقسامهم.

عند انتهاء الدرس طلب الأستاذ من الطالبات إحضار ضفدعة في الحصة المقبلة لإجراء عليها عملية التشريح ورؤية عضلاتها والاستجابة الشرطية، وفعلا حضر نفس الفوج وأحضرت أغلبية الطالبات ضفادع في علب مغطاة، بينما أحضر مجان ثعبان طوله أكثر من متر.

ارتعبت الطالبات عندما كشف عنه، وحدثت فوضى عارمة في القسم خشية أن يقوم بإطلاقه. ولما سأله الأستاذ عن هذا الفعل أجابه: هذا ما استطعت إحضاره، لم أجد أي ضفدعة.



(11)

في الحصة الثانية والمخصصة للطلبة دخل الأستاذ إلى القسم وضع محفظته على المكتب وأخرج الأدوات ثم أخرج الطباشير من جيبه، تقدم إلى السبورة وكتب: موضوع درسنا اليوم: "نظرية التطور" ثم التفت إلى الطلبة قائلاً: قبل أن نبدأ الدرس أولاً أريد أن أسأل، هل هناك غياب؟

أجاب رئيس القسم: لا يا سيدي، العدد كامل 18 تلميذاً. دق باب القسم، تقدم الأستاذ وسحبه ببطء فإذا حياة رفقة تلميذتين تستأذنان للدخول وحضور هذه الحصة. أذن لهن الأستاذ وبدأ قائلاً:

- أولاً وقبل كل شيء أريد أن أقول أنّ هذه النظرية غير واردة في المنهاج، وربما ممنوع تدريسها لما لها من خطورة. ولكن الأمانة العلمية تحتم علينا المرور عليها. بعدما درسنا التناسل، علم الوراثة، الصبغيات ينبغي أن نتطرق إلى هذه النظرية ولو بإيجاز رغم أنني لست مؤمناً بها. صاحب هذه النظرية هو العالم الانجليزي داروين الذي ولد سنة 1809م وتوفي سنة 1882م وهو أشهر علماء الأحياء.

سافر إلى أماكن كثيرة، ودون كل ما لاحظته في كتابه: "أصل الأنواع" ثم كتب كتابه الثاني: "نشوء الإنسان".
يقال يا أبنائي أن الحياة نشأت قبل 3.7 مليار سنة، وأن هذه الكائنات تطورت عبر مئات سنوات إلى أن صارت على ما هي عليه الآن، ورغم أن هذا الفكر يناقض فكرنا الإسلامي إلا أننا نؤمن بها بتحفظ.

- مجان: ماذا تقصد بالتحفظ؟

- الأستاذ: معنى ذلك نؤمن بديننا الذي يقول بأن الله عز وجل هو: ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۗ﴾ ثم خلق الحياة فهو السبب في تطور هذه الكائنات.

- مجان: الذي أعرفه أن هذه النظرية تقول: "أصل الإنسان قرد".

- الأستاذ: دعني أنهي الدرس، ثم سوف أفتح باب المناقشة.

- قلت يا أبنائي: أن هذه النظرية تقوم على فكرة أن الكائنات الحية تتناحر على البقاء، والانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح.

- مجان يقاطع الأستاذ من جديد: نريد أن نعرف جواباً، هل الإنسان خلقه الله، أم تطور عبر الأزمان كما تقول هذه النظرية؟

- الأستاذ: طبعاً نحن مسلمون نؤمن بأن الله هو الخالق.

- مجان: أنا أريد إجابة علمية، هل الإنسان خلق أم تطور، أريد رأيك أنت، كن صادقاً معي؟

- الأستاذ: يا بني أنا أصلي وأصوم، هذه النظرية تبقى مجرد نظرية لها محاسنها ولها عيوبها، كتبت عشرات الكتب في الرد عليها.



(12)

دق الجرس معلنا نهاية الحصّة وبداية الرّاحة، خرج الأستاذ وبدأ الطلبة يحركون الكراسي والطاولات فحدثت فوضى كبيرة، والكل بدأ يتكلم مع الكل.

خرج عبد الله ومجان وهما ينظران إلى حياة، حمل عبد الله رفيقه الدائم كتاب المأثورات ليقرأ ورده الصباحي، جلس في إحدى المقاعد الإسمنتية الموجودة في ساحة الثانوية، بينما مجان استأذن للذهاب إلى المرحاض، وفي طريقه تذكر بعض الأحداث التي وقعت له خلال الثلاثة أشهر الماضية:

قبل هذه الأشهر اشترت حياة آلة تصوير وفيلما، وطلبت من صديقتها أن تقوم بتصويرها عدة صور للذكرى خاصة وهي آخر سنة لها في هذه المؤسسة.

التقطت صورا في السّاحة، وصورا في القسم أمام السّبورة وهي تتظاهر بأنها تشرح الدّرس لزميلاتها، وصورا في المطعم وأخرى في المرقد.

يوم الاثنين مساء يسمح للطلبة النظام الدّاخلي بالخروج للمدينة للاستحمام والترفيه والترويح عن النفس وشراء اللوازم التي يحتاجها المتعلم.

مرّ عبد الله بالقرب من بعض الطالبات، تقدمت منه حياة
وقدمت له فيلما ومبلغ مالي وطلبت منه تحميض الفيلم
وتحويله إلى صور ورقية.

كانت حياة تعلم أنه من المستحيل أن ينظر إلى صورها،
وفعلا أخذ عبد الله الفيلم إلى المصور وطلب منه تحميضه
بعد أن دفع مستحقاته.

بعد نصف ساعة عاد عبد الله إلى المصور وأخذها.
حدثته نفسه أن ينظر إلى الصور، لكنه تذكر وصايا الوالد:
كن أميناً.

التقى عبد الله بمجان حيث ذهباً إلى البساتين للتنزه، ثم
عرجا إلى سوق الفلاح لشراء شفرة حلاقة، وبعدها عادا إلى
المقهى وطلبا عصيرا وجلسا أمام التلفاز لمشاهدة فيلما
قصيرا.

لما أذن المؤذن لصلاة العصر أراد عبد الله الذهاب إلى
المسجد، فترك الظرف الذي قام بتشميعه عند مجان.
دامت الصلاة حوالي ربع ساعة.

فتح مجان الظرف ورأى الصّور، أعجب ببعضها، ظهر له
بأن حياة تشبه بعض الممثلات في الأفلام العربية خاصة تلك

الصور التي التقطت في أثواب النوم بالمرقد كاشفة عن مفاتها.

اشترى ظرفاً جديداً من الكشك المجاور للمقهى، ووضع فيه الصور، وقام بتشجيعه مرة أخرى وأبقى لنفسه ثلاث صور. لما عاد عبد الله إلى المقهى سلمه الظرف.

وبعد أسبوع من هذه الحادثة تحرش مجان بحياة وساومها في الأمر وإلا سوف ينشر صورها ويربها لجميع الطلبة. خضعت للتهديد، واستسلمت.

تذكر مجان كل ما حدث وهو في طريقه إلى الغرفة الخلفية للغاز حيث واعد حياة وهددها إن لم تحضر، ادعى أنه ذاهب للمرحاض كي يستغفل عبد الله.

لما أبطأ في الرجوع، بدأ عبد الله يسأل عنه، فأخبره بعض الزملاء أنه خلف الأقسام، سار عبد الله إلى تلك الجهة وهو يعتقد أن هناك شيء وقع لصديقه، لكن المفاجأة أن وجده رفقة حياة، نظر إليهما فاتقت العين بالعين فتفاجأ ثلاثتهم، عاد عبد الله أدراجه ولم يتفوه بكلمة واحدة.

(13)

لما اكتشف عبد الله العلاقة بين حياة ومجان سقط في ساحة المدرسة، وبدأ يقيء دما وارتفعت درجة حرارة جسمه ودارت الأرض حوله.

أقبل المدير إلى عبد الله بعدما شاهد جموع الطلبة ملتفون حوله، وأمر السائق بإدخال السيارة إلى الساحة، تعاون مجموعة من الطلبة في حمل عبد الله ووضعته في الكراسي الخلفية، ركب المدير رفقة المراقب وأخذه إلى العيادة.

تبعد العيادة حوالي كيلومتر عن الثانوية، ولأن بعض الطلبة لم يدرسوا الحصص الثلاثة والرابعة ذهبوا للاطمئنان على زميلهم، وقد أحظر الكثير منهم الفاكهة والمشروبات وحتى السجائر رغم أن زميلهم لا يدخن.

لم يستطع عبد الله الأكل ولا الشرب، نفسه مسدودة عن آخرها، وكلما حاول إرغام نفسه على الأكل إلا وتقيأه.

اقتربت ممرضة من هذه الجموع وطلبت منهم الانصراف لراحة المريض، أطاعها الجميع وهم يوصونها بزميلهم خيرا.

حظر الطبيب وسأل الممرضة عن درجة حرارته، فقالت: 39 درجة.

بدأ الطبيب يفحص المريض ثم سأله: ماذا أكلت حتى تقيأت
دما؟

رد عبد الله: لم أكل شيئا منذ الساعة الرابعة صباحا، حيث
تناولت كأس حليب.

قال الطبيب: لعل الحليب منتهي الصلاحية؟
رد: لدينا بقرة.

- هل هناك من ضربك في بطنك أو صدرك؟
- لم يلمسني أحد.

- إذن من أين أتى هذا الدم؟

أمر الممرضة بإجراء بعض الفحوصات والتحاليل والأشعة.
رفع الطبيب المناوب الهاتف وطلب من البروفسور الصيني
رئيس قسم الأمراض الباطنية التابع لهذه العيادة الحضور،
ثم عرض عليه هذه الحالة النادرة.

بعد حوالي نصف ساعة وصل البروفسور، اقترب من
المريض، فحصه جيدا ثم نظر للأشعة ونتائج التحاليل.

قال: ربما يكون مصابا بجرح عميق داخل بطنه.

ثم أردف: يا له من لغز، إنه حقا معضلة!!

وأخيرا برقت عينا البروفسور، بعدما قرأ نتائج التحاليل
سأل عبد الله باللغة الانجليزية: هل سقطت على ركبتك في
صغرك؟ هل انتفخت ركبتك وأنت صغير؟
لم يفهم عبد الله شيء من كلامه وكأنه لم يدرس اللغة
الانجليزية.

تقدمت الممرضة من عبد الله وسألته بالعربية: هل سقطت
وأنت صغير على ركبتك؟
أجاب: لا لم أسقط على الإطلاق.

التفتت إلى البروفسور وقالت له: إنه يجيبك بالنفي.
عقد الطبيب حاجبيه ثم حمل الملف واقترب من باب
الحجرة محاولا الانصراف.

قالت الممرضة لعبد الله: هل أنت متأكد أنك لم تسقط
عندما كنت صغيرا؟ تذكر جيدا.

أجاب: إذا قلت لك نعم، هل سيقطعون قدمي؟
ماذا تقصد؟

قال: كنت صغيرا أربي الأغنام في الجبل فسقطت على ركبتك
فانتفخت.

اتجهت الممرضة جهة البروفسور وخاطبته باللغة الانجليزية:
إنه يقول كان يرعى الأغنام في الجبل وسقط على ركبته.
وقد أنكر ذلك لأنه يخشى أن تقطع رجله.

قال البروفسور يخاطب الممرضة: خذيه إلى غرفة العمليات،
سوف أحضر حالا.

سحبت سرير عبد الله بعدما نزعت عنه أثواب الشتاء التي
يرتديها، ولم يمض أكثر من نصف ساعة حتى خرج من
غرفة العمليات حيث نزعوا منه بعض الدماء المتخثرة من
ركبته وفخذه.

كتب البروفسور له وصفة طبية ثم أمره بالانصراف.



(14)

ركب عبد الله سيارة أجرة وعاد إلى الثانوية، ولما وصل نظر إلى ساعته فإذا هي الخامسة مساءً، وقد انتهى الدوام وخرج جميع طلبة نظام الخارجي بينما تلاميذ الداخلي في الأقسام للمراجعة.

بتناقل دخل عبد الله إلى قسمه، يحمل محفظته وغير مكانه، ترك مجان جالساً وحده في الطاولة الأمامية، بل لم ينظر إليه أصلاً.

جلس في آخر طاولة بالقرب من تلميذ ثرثار، وبدأ هذا الأخير يسرد عليه ما حدث في غيابه، وأن أستاذ التربية الإسلامية قام برفع تقرير للمجلس التأديبي يتهم فيه مجان بنشره للإلحاد، وأن أغلب الأساتذة يريدون فصله أو على الأقل تحويله إلى ثانوية أخرى، إضافة إلى اكتشافهم عن طريق الصدفة من بعض الطالبات أن حياة حبلى وفي شهرها الثالث بعد أن هتك عرضها ذلك الفاجر.

لما دقت الساعة السادسة بقليل أمرهم المراقب بالذهاب إلى المطعم المدرسي للعشاء، دخل الجميع، جلسوا أمام الطاولات واغتاطوا بعدما وجدوا العشاء "الماء والزغاريد" الشيء الجميل في العجائن أنها ساخنة في هذا الجو البارد.

بعد إتهامهم العشاء أمرهم المراقب بالصعود إلى المرقد الذي يقع فوق المطعم بالتحديد، صعد الطلبة وكان في مقدمتهم مجان، فتح الباب الخشبي السميك واتجه كل واحد منهم إلى سريرته، غيروا ملابسهم، غسلوا أرجلهم.

أما عبد الله فقد أخذ معجون الأسنان والفرشاة، وذهب إلى المغسل، غسل أسنانه، ثم نظر إلى وجهه الشاحب المرسوم على المرأة، وفتح عينه فإذا هي حمراء من التعب والإرهاق. عاد إلى السرير وامتد، سحب البطانية ووضعها فوق جسده، إذ بصوت المراقب يوبخ مجان، بعد أن فتح خزانته صرخ في وجهه: من أين لك هذه الأشياء؟ كيف دخلت إلى هنا؟

حمل المراقب زجاجة خمر وبعض السجائر وحبوب مهلوسة. ثم أقسم أنه سوف يضعها بين يدي المدير. أنكر مجان أن تكون هذه الأشياء خاصته، ادعى بأن هناك من وضعها في خزانته خلسة بغية الإطاحة به وزرعا للمشاكل.

صاح المراقب: والله لن أسمح لك بإفساد الطلبة، لن أسمح لك باستهلاكها وبيعها في هذا المرقد. اللعنة عليك.

أطفأ المراقب الأضواء، أراد العودة إلى غرفته، فإذا بحجرة كبيرة ترتطم بالباب رماها أحد الطلبة، وبعد أن سمع اصطدام الحجرة على الباب ارتعد كل الطلبة المتواجدين في المرقد ولم يفهموا ما حدث.

قال المراقب: يا حقيّر ترميني بالحجرة.

رجع إليه، وأمسك ثيابه، وهو ينكر ويقسم أنه لم يرم أي حجر.

في ذلك الظلام سمع هذا الخفير أحدهم وهو يأكل التمر، يعض بصوت مسموع وسط سكوت الطلبة صرخ: من الذي يستنحي في المرقد.



(15)

استيقظ عبد الله على السّاعة الثانية صباحا يصرخ من شدة الألم، كان يمسك رجله ثم بدأ يعض على شفتيه ويئن من قوة الأوجاع، ارتفعت درجة حرارته، أمسك عموده الفقري وفخذه.

استيقظ المراقب، أشعل المصباح ثم اتجه نحوه يسأله عن حاله، قدم له بعض الإسعافات الأولية وناوله الأدوية التي وصفها له البروفسور.

هاتف المراقب المدير إلا أن الخط كان مقطوع.

هاتف العيادة القريبة من الثانوية وأخبرهم بحالة عبد الله، وطلب منهم إرسال سيارة إسعاف، غير أن المناوب أخبره أن العيادة تملك سيارة إسعاف واحدة، وقد تم إرسالها إلى المستشفى الجهوي بعاصمة الشرق لأخذ مريض.

استيقظ الطلبة وأشعلوا بقية مصابيح المرقد، واجتمعوا حول عبد الله الذي كان يتألم ويصرخ، بدؤوا يصيحون: نريد سيارة إسعاف للمريض، نريد سيارة إسعاف للمريض. كلنا نتألم مع عبد الله.

عبّر الطلبة عن غضبهم بضرب أبواب ونوافذ وجدران المرقد، وصلت أصواتهم إلى الطّالّبات في المرقد المجاور، ولأنه غير

مسموح لهن ولا للمراقبة بالخروج من المرقد أثناء الليل، لم يفهمن شيء واعتقدن أن مجموعة إرهابية اقتحمت الثانوية.

وصل غضب الطلبة إلى ذروته، حيث فتحوا باب المرقد وخرجوا إلى ساحة الثانوية، كسروا نوافذ الأقسام، وأشعلوا النار في حاويات القمامة، وقطعوا الأشجار المحيطة بالساحة، وسحقوا جميع الأزهار.

في الساعة السادسة كان المراقب في الساحة يراقب ما يحدث، رجع إلى المرقد ليطمئن على عبد الله، اكتشف أن مجان لازال نائماً، أيقضه، فلم يعره اهتماماً، سحب البطانية من فوقه، وسرعان ما أعادها بعدما اكتشف أنه لا يرتدي أثوابه.

همس المراقب: إذا لم تستيقظ سوف أقوم بغلق الباب عليك.

ثم بصوت مرتفع صاح: اقسم بالله، إذا لم تستيقظ سوف أقوم بغلق الباب عليك.

خرج المراقب بعد أن قام بغلق الباب عليهما.

انتفض مجان من سريره لما سمع صوت دوران المفتاح في القفل.

جمع أدواته ثم غسل وجهه ولبس مئزره، ونزل عن طريق
النافذة المكسورة بواسطة أنبوب الحمام.

اصطف الطلبة أمام المطعم لأخذ الوجبة الصباحية، اقترب
منهم مجان وبدأ يحرضهم على الإضراب: كيف تأكلون
وتشربون وتمرحون وزميلكم بين الحياة والموت!

لابد من إضراب عام، لابد من إضراب عام، إضراب عن
الطعام، إضراب عن الدراسة، إضراب عن كل شيء.

والحقيقة أن مجان في تلك اللحظة، لم يكن همه عبد الله،
بل لم يكن يكلمه أصلاً بعدما اكتشف علاقته بحياة، إنما
هو تعبير عن الضغوط التي وجدها في هذه المؤسسة من
المراقب والأساتذة ومن بعض الطلبة الذين لا يعجبهم
سلوكه وأخلاقه.

دخل الطلبة إلى المطعم المدرسي، ولم يمد واحدا منهم يده
إلى الحليب أو الخبز أو المعجون اللهم إلا بعض الطالبات
اللاتي لم يصلهن خبر الإضراب.

كان المراقب يجري بين الصفوف والطاولات وهو يقول: كل
الخبز اشرب الحليب، كل الخبز اشرب الحليب.

ساد صمت رهيب داخل المطعم كأن وسطه جنازة، لا أحد
يتكلم، الكل يقول بصوت خافت: لا أريد.

وصل المدير بسيارته رباعية الدفع، فتح الحارس باب المؤسسة على مصرعيه، دخل، اقترب منه المراقب وقدم له تقريرا كاملا ومفصلا عما جرى البارحة: "مرض الطالب عبد الله وقد هاتفنا العيادة ليحضروا لنا سيارة الإسعاف إلا أن هذه المؤسسة لديها سيارة واحدة، ذهبت إلى المستشفى الجهوي بعاصمة الشرق لأخذ مريض آخر".

دخل المدير إلى المطعم وطلب من جميع الطلبة التوقف عن هذا الإضراب الذي سينال المحرضون له العقاب المناسب. لا أحد استجاب له، الكل صائم وبعد نصف ساعة خرج الطلبة من المطعم ورفضوا الذهاب إلى الأقسام للدوام الصباحي.

خرج التلاميذ لساحة الثانوية تأهباً لرفع العلم. ولما دخل تلاميذ نظام الخارجي إلى الثانوية، أعلموهم بالإضراب. اصطف الجميع أمام سارية العلم، شغل المراقب اسطوانة النشيد الوطني وقرب منه مكبر الصوت. بدأ صوت النشيد الوطني يدوي.

عند الانتهاء من النشيد اقترب الأساتذة كل إلى قسمه، وأمروا الطلبة بالدخول، لكن للأسف لم يتحرك طالبا واحدا، صدح الجميع: اضرب، اضرب.

تقدم المدير إلى سارية العلم بخطوات ثابتة، وكأنه لا يعبأ بهم، يرتدي بذلة سوداء وربطة عنق حمراء، ضم قدميه ثم وضع يديه إلى الخلف رافعا رأسه كأنه عسكري في وضعية الاستراحة، وبدأ خطبته:

أبنائي الطلبة، والله إني أحيي فيكم هذا التضامن مع زميلكم، أحيي فيكم هذه الغيرة، لكن ما أريد أن أقوله لكم أن ما حدث البارحة لزميلكم لم يكن لنا دخل فيه، العيادة لديها سيارة إسعاف واحدة، وكانت في مهمة لذلك لم يكن لنا ما نفعله، ثم إن المراقب قدم للطالب كل الإسعافات الأولية.

أطلب منكم يا أبنائي الطلبة العودة إلى مقاعد الدراسة، وعن قريب ستحضر الإسعاف لأخذ الطالب المريض.



(16)

وصلت سيارة الإسعاف إلى الثانوية، دخلت إلى ساحة المدرسة خلف صفوف الطلبة، ثم اقتربت من المطعم والمرقد.

نزل الطبيب والممرض، اقترب منهما المراقب، سلم عليهما ثم سار أمامهما، صعد المراقب السلم، فتح باب المرقد، اقترب من سرير الطالب المريض.

- سأل الطبيب: ماذا بك؟

- أجاب عبد الله: أجريت عملية بالأمس، حيث تم سحب كمية من الدم من ركبتى وفخذي، أعطاني البروفسور بعض الأدوية.

- رد الممرض: طبيعي، هذه مضاعفات العملية، كما أن هذه الأدوية تساعد على تخفيف الألم.

- وقف عبد الله، استند على الممرض والمراقب ثم نزل عبر السلم إلى الساحة، اتجهوا نحو سيارة الإسعاف، فتح الممرض الباب الخلفي وصعد المريض ثم استلقى على السرير وزوده بالأكسجين.

- قال الممرض الذي يركب بجانب عبد الله: نذهب إلى المستشفى الجهوي.

- رد الطبيب: طبعاً، العيادة عملت ما بوسعها. لما وصلوا إلى المستشفى، جلب له الممرض كرسي متحرك، ثم أخذوه إلى غرفة قريبة من باب المدخل. تمدد المريض على السرير، حضر الطبيب المختص ليكشف عليه وسأله عما يشعر به. رد: ألم شديد في ساقِي.

رجع الطبيب والممرض إلى سيارة الإسعاف بعد ساعة من زمن وصولهم، بعد أن هاتفهم مدير العيادة يدعوهم للعودة لأن هناك مريض في أمس الحاجة للذهاب إلى المستشفى. قال الممرض: أف والله تعبت، مائة كيلومتر ذهاباً وأخرى إياباً.

عاد الممرض والطبيب إلى المدينة، تركا عبد الله بمفرده في المستشفى الجهوي بعاصمة الشرق. وصف الطبيب لعبد الله بعض الأدوية وأعطاه حقنة بها مخدر، نام في تلك الغرفة الصغيرة.

على الساعة الثانية عشر رأى ممرضة تتنقل بين المرضى،
وتجمع ما تجده لدى المرضى من مشروبات غازية وعلب
ياغورت أو أي شيء من الطعام والشراب.

اقتربت من عبد الله بعدما رأت سترته التي تشبه المعطف
ملطخة بالدماء وسألته: أليس لك أهلا؟

بلى لدي والدي وهو شيخ طاعن في السن يسكن في القرية
بعيدا من هنا.

سارت الممرضة إلى حال سبيلها وهي تردد: يا للقذارة
والوساخة والزبالة.

غابت مدة من الزمن ثم عادت وهي تجر طاولة بعجلات
تحمل أطباقا من الطعام وبعض الخبز، وزعت هذه الأطباق
على المرضى ولما وصلت إلى عبد الله قدمت له طبق شوربة
وقطعه من الخبز اليابس.

أمسك عبد الله القطعة فوجدها يابسة كالخشب.

قال: إذا أمكن غيري لي هذا القطعة من الخبز لأنها يابسة.

ردت الممرضة في غضب وبصوت مرتفع: لن أغير لك شيء.

دفعت الممرضة الطاولة التي بين يديها إلى الرواق وهي تسب
وتشتتم.

كان صوتها خشن يشبه صوت الرجال، اللعنة عليك وعلى قذارتك. كل من أعطيته اقتنع إلا أنت، كأنك لم تأكل مائة سنة.

ابتعدت عنه حوالي خمسة أمتار ثم ناداها، التفتت إليه، وسكتت لثانية، ثم سمعته وهو يدعو عليها: "الله لا تريحك، ولا تفلحك ولا يطل عليك ضوء، الله يعطيك بوقرجم".
احمر وجهها خجلا لأن جميع المرضى الذين حضروا هذه الواقعة ضحكوا عليها ضحكا هستيريا.

تمنت هذه المريضة لو وضعت الوسادة على وجهه وخنقت أنفاسه حتى الموت، تمننت لو عندها مسدس لأطلقت عليه وابلا من الرصاص، ودت لو حقنته بمخدر أو سم قاتل قبل أن يتفوه بهذا الدعاء.

لكن كل ذلك لم يحدث، ما حدث هو أنها سكتت وسارت مطأطأة الرأس في الرواق بصمت.

أنهت عملها ثم ذهبت إلى مكتبها وجلست، وضعت رأسها فوق يديها وهي تفكر في دعاء هذا الشاب القروي، أخذت غفوة ربع ساعة ثم استيقظت، تحسست اللوزتين فوجدهما منتفختان.

سألها زميلة: ماذا حدث لك؟

ردت: ذلك الشاب الملتخ بالدماء دعا علي قائلاً: "الله يعطيك بوقرجم".

قالت زميلتها: عليك أن تذهبي إليه وتطلبي منه الصفح.

ردت: كيف أعود إليه وقد شتمته، ومسحت بكرامته الأرض.

زميلتها: سوف اذهب إليه بنفسني وأطلب منه الصفح عليك.

تقدمت الممرضة من عبد الله وقصت عليه القصة، ثم

طلبت منه الصفح والمغفرة لزميلتها.

أجاب: والله لن أغفر لها حتى تأتي إلى هنا وتطلب مني العفو

أمام جميع المرضى كما شتمتني أمامهم.

وافقت الممرضة المصابة، جاءت إليه وطلبت منه العفو،

فعفا عنها.

بعد ساعة كشف عنه الطبيب، فوجد حالته تحسنت، كتب

له وصفة طبية. وقال له: بإمكانك مغادرة المشفى لأن ذلك

الألم مجرد ارتدادات فقط إن شاء الله سوف تشفى مع

مرور الوقت.



(17)

كان مجان قد أقنع الجميع بالإضراب، وفعلا لم يتقدم طالب واحد إلى الأقسام، الكل واقف في السّاحة. اقترب المراقب من الطلبة، وأخبرهم بأن المدير يريد أن يجتمع بهم، أو بالأحرى يجتمع برؤساء الأقسام، ولا يريد أن يكون معهم مجان.

اجتمع تسع طلبة - رؤساء الأقسام- في الساحة كأنهم الوفد المفاوض في إيفيان، ثم انطلقوا إلى مكتب المدير.

رحب بهم بعد أن جلسوا حول طاولة كبيرة- طاولة الاجتماعات- ثم قال كلمة غير مفهومة أتبعها ب: فتحت الجلسة، ماذا ينقصكم؟

تكلم نائب الطلبة الذي أخرج ورقة من تحت ثيابه:

- 01- نريد تحسين وجبة الأكل.
- 02- نريد زيادة وقت الدوام إلى غاية الساعة العاشرة ليلا، لأن هناك طلبة يريدون التحضير للبيكالوريا.
- 03- نريد ملعبا لكرة القدم.
- 04- نريد تغطية هذه السّاحة بالاسمنت، الحجارة مزقت أحذيتنا.
- 05- نريد سيارة إسعاف خاصة بالمؤسسة.

كتب المدير كل هذه الملاحظات وغيرها ووعدهم بأنه سوف يلبي لهم مطالبهم.

رن هاتف المؤسسة، اعتذر من الطلبة، رفع السّماعَة فإذا برئيس مصلحة التعليم الثانوي من مديرية التربية يسأله عن حالة الإضراب، كما أعلمه أن مدير التربية غاضب من عدم تحكمه وعدم سيطرته على الوضع الذي انفلت من قبضته.

رد المدير بأنه توصل إلى إيجاد حل مع الطلبة.

رئيس المصلحة: هناك مفتشا رفقة مدير وبعض الأساتذة سوف يحضرون إلى الثانوية لأجل ترسيم أستاذة الفيزياء.
المدير: الطلبة في إضراب وأنا أشك بأنهم سوف يدخلون إلى القسم.

أعاد سماعَة الهاتف إلى مكانها، ثم التفت إلى رؤساء الأقسام قائلاً: أما هذه المطالب فهي سهلة غير أن الشيء الذي لا أستطيع أن أعدكم به هو سيارة الإسعاف.

فحسب علمي لا توجد ثانوية واحدة في هذه الولاية بل في كل هذا القطر تملك سيارة إسعاف، فكيف لي أن أحقق حلمكم هذا، أما بقية المطالب فهي على أهبة الانجاز، وقبل أن يرفع المدير الجلسة قال: والآن أرجو أن تقوموا بإقناع

زملائكم بالتوقف عن الإضراب قبل وصول الأمن الذي سوف يكتب تقريره، وربما سوف يعتقل المتسببون في هذه الفوضى والتكسير والحرق.

خرج رؤساء الأقسام وأعلموا زملائهم بالأمر، لم يقتنع أحد بهذه النتائج التي توصلوا إليها في هذا الاجتماع.

قام المراقب العام بتسريح الطلبة نظام خارجي وبقي الطلبة نظام داخلي وسط السّاحة يأكلون بعضهم البعض، جلس أغلبهم على كراسي إسمنتية منتشرة داخل الثانوية، ولما دقت الساعة الثانية عشر رن جرس الغداء، أمر المراقب الطلبة بالذهاب إلى المطعم.

لم يتحرك أحد من مكانه.

أجتمع المدير مع الأساتذة في اجتماع مغلق لدراسة الوضع والمحرض الأول لهذا الإضراب الذي لم يحسب حسابه أي أحد.

بعد أن فتح هذا الاجتماع بالبسملة والترحيب نطق بصوت ملؤه الحقد والكراهة لمجان: إن هذا الطالب:

1- قد هتك عرض طالبة وهي الآن حامل.

2- أستاذ التربية الإسلامية يقول: بأنه ينشر الإلحاد.

3- المراقب وجد في خزانته بالمرقد زجاجة خمر وبعض المخدرات.

4- وأنا أقول أنه هو المحرك الأول لهذا الإضراب الذي نجم عنه تخريب المؤسسة

5- علاماته في الفصل الأول متدنية للغاية.

أخرج المدير الملف المدرسي لمجان من الخزانة، ووضعه بين أيدي الأساتذة، ثم طلب منهم الحكم له أو عليه، أجمع الأساتذة، وقرقرارهم على فصله.

في هذا الوقت كان بعض الطلبة نظام خارجي قد عادوا إلى الثانوية يحملون معهم التمر والخبز وقفزوا فوق السياج والجدران وسلموا هذه المواد للطلبة والطالبات المضربين عن الطعام منذ الصباح.



(18)

خرج عبد الله من المستشفى الجهوي بعاصمة الشرق، الذي يبعد عن الثانوية بأكثر من مائة كيلومتر.
كان الجو ماطرا في ذلك اليوم، تبللت سترته ومُسحت الدماء العالقة فيها، سار وسط عاصمة الشرق، وجد أمامه مقهى، دخل، لاحظ بأن الكراسي متناثرة هنا وهناك، جلس بالقرب من الجدار على كرسي حديدي، تقدم النادل منه وسأله: ماذا تشرب؟

رد عبد الله: شاي بالنعناع رحمة الله عليك.
أخرج عبد الله نقوده وعدّها، نظر إلى وثائقه الخاصة: بطاقة التعريف وبطاقة الطالب، بطاقة التأمينات الوصفة الطبية، وفي لحظة كان النادل أمامه وقد وضع طلبيته.

سأل عبد الله: هل هناك فندق في هذه النواحي؟
خرج النادل إلى وسط الشارع ثم اتجه إلى عبد الله موجها له الكلام: هناك، في آخر الشارع مقابلا لتلك العمارة، إن لم تجد مكانا فورا ذلك الفندق فندق آخر.

شرب عبد الله الشاي في رشفة واحدة، شكر النادل، ثم نهض واتجه مباشرة نحو الفندق الأول، نظر أعلى الباب فرأى لافتة كتبت على لوحة كبيرة: نزل عاصمة الشرق.

كانت البناية في غاية الرّوعة، كل شيء نظيف يلمع، ألقى
التحيّة على الموظف، ولم ينتظر الرد: غرفة من فضلك.
رفع الموظف رأسه عن السّجل الذي كان يتفقدّه، ثم أنزل
النظارة قليلا: آسف ليس هناك غرف شاغرة.

عبد الله: ولا غرفه.

رد الموظف: ولا غرفة.

عاد أدراجه، ثم تذكر بأن هناك فندقا وراء هذا النزل.
سار نحوه فإذا هو أمامه مباشرة، بناء تركي قديم، الشيء
الجميل فيه أنه صغير وذو طابق واحد.

دخل عبد الله إلى بهو الاستقبال ثم اقترب من الموظف
الطاعن في السن: السلام عليكم، غرفة من فضلك لليلة
واحدة.

رد الموظف وهو يرتجف من البرد: هناك غرفة واحدة ولكن
بسريرين ثمناها ضعف.

عبد الله: موافق.

سلم عبد الله للموظف بطاقة التعريف، ثم دفع للموظف
ألف دينار، أخذ الموظف المعلومات التي يحتاجها.

وسلمه مفتاح الغرفة 15.

عبد الله: شكرا.

اتجه الطالب إلى غرفته القريبة من بهو الاستقبال، دخل ثم أغلق الباب، ورمى بجسمه المتعب فوق السرير.

- يا لصغر هذه الغرفة!!

يوجد فيها خزانة، سريرين ملتصقين، بطانيتين، طاوله، كرسي، نافذة كبيرة.

دق الباب، فإذا بصاحب الفندق يتأسف: المعذرة يا بني، إن كنت تشعر بالبرد بإمكانك أن تشعل المدفئة.

سأل عبد الله: أين يمكنني أن أجد مطعما؟

اقترب من النافذة وأشار بأصبعه: هناك في آخر الشارع.

خرج عبد الله من الفندق وهو يعدّ نقوده الباقيّة تحسبا لأجرة العودة إلى منزله بالقرية، في الطريق وجد محلا للمواد الغذائية، اشترى خبزا وبعض الفاكهة ثم عاد إلى الفندق.

دخل إلى غرفته، وضع كيس المشتريات فوق الطاولة، أراد أن يأكل لكنه لم يستطيع خاطب نفسه: سوف أنام، وفي الصباح ألثم هذا.

نزع أثوابه المبللة.

في الصباح وجدها قد جفت. أكل بعض الخبز والفاكهة الطازجة، ثم عاد إلى المقهى وشرب حليبا بدون سكر ثم سأل النادل عن موقف الحافلات تأهبا للعودة إلى القرية.

(19)

سمع مجان بقرار المجلس التأديبي، وأنه فصل من الدراسة. وكان مقتنعا بأن السبب هو أستاذ التربية الإسلامية والمراقب اللذان كانا حازمين على طرده، لأنه مدمن للخمر، وملحدا ويدعو للإلحاد.

انزوى في ساحة الثانوية وبدأ يكلم نفسه:

نعم أنا ملحدا، الإيمان بالله هو فكرة وأنا ابحت عنها. أنا ابحت عن هذه الفكرة، ولو وجدت لها لأمنت بها، أنا أجتهد، والمجتهد له أجره، في أي لحظة قد أتوصل إلى تلك الفكرة، فهل يحاسبني الله وأنا أبحث بكل ما أوتيت للإيمان به. أنا أتعذب، لا أريد أن أكون مؤمنا بالوراثة، لا أريد إيمانا تقليديا، إيمان القطيع. أليس أول واجب على المكلف هو المعرفة، أنا أبحث عنها للإيمان.

شخص مجان بصره دقيقة نحو الإدارة ثم قال: لقد انتهى كل شيء، ينبغي أن أضع حدا لهذا الوسيط على دين الله. "بلينا بقوم يظنون أن الله لم يهد سواهم، يدعون الناس إلى الجنة وهم عاجزون عن إجابة طالب عن سؤاله". كل شيء ينبغي أن يكون في سرية تامة، ينبغي أن يموت هذا الوصي ثم أتفرغ لذلك المراقب.

كما أوقف ذلك الأستاذ دراستي ينبغي أن تقف حياته لابد
أن يدفع الثمن.

كنت أحاوره كأبي، كان بإمكانني أن أكون منافقا كغيري من
البشر، نفسي تأبى ذلك، فتحت له قلبي.

أنا مجرد طالب لازلت في مقتبل العمر، أتعلم أبحث أشك،
أريد أن أعرف، أكتشف الحقيقة بنفسني.

- أنا الآن أراه من هذه الزاوية، ها هو يجلس في قاعة
الأستاذة، لعله يكتب تقريراً عن كل ما قلته وعن كل ما لم
أقله، كل ما جرى بيني وبينه.

إنه يقف الآن ويتجه نحو المرحاض لقضاء حاجته.

سحب مجان السكين من تحت أثوابه - وقد اختلسه من
المطعم المدرسي- ثم أسر في نفسه: نعم هذا السكين قد
يكون غير حاد بما فيه الكفاية لأريحه من هذه الحياة، ولكن
أعرف أين يمكن أن أغرزه، في الرقبة، من الوريد إلى الوريد.
ها هو يتجه إلى المرحاض، يمسك ثيابه ويسرع الخطى.

مرحاض الأستاذة خلف الإدارة، يتكون من ثلاث غرف
ورواق صغير، الجو معتم قليلاً، والبرد قارص جداً، حتماً
سوف يشعل مصباح رواق بيت الخلاء لكن ينبغي أن أقوم
بإطفائه في اللحظة التي يخرج إلى الرواق الصغير سوف

يذهب لغسل يديه، ينبغي أن لا يرى شيئاً مثلما فعل معي، كل العمل الذي أقوم به في السر. يجب أن يموت في صمت وسلام.

ثم أردف: هذه هي الفكرة، هذه هي الخطة، نعم ينبغي أن أتسلل خلف الإدارة بحيث لا يراني أحداً. اتجه مجان خلف الإدارة كالثعبان دون شوشرة ثم بينه وبين نفسه:

من هنا يمكن أن أراه كالشيخ وهو يدخل لبيت الخلاء، علي أن أتركه يقضي حاجته ولا أزعجه، بعد ذلك يكون له حساب معي.

وقف مجان أمام الباب الخارجي ينظر إلى الغرفة الوسطى المغلقة، ثم أسر في نفسه: ينبغي أن تكون هذه العملية في الظلام الدامس، لأنني لا أريد أن أراه، لا أريد أن أرى عينيه ولا لحيته، بل لا أريد أن أرى جثته هامدة. هكذا أراد أن يحطمني.

- وضع يده اليسرى على زر الضوء، بينما تقبض يده اليمنى السكين بقوة.

سمع حركة مزلاج المفتاح من داخل غرفة المرحاض غير أن الأستاذ لم يفتح، سكب الماء مرات عديدة.

مجان: سوف تعلم الآن من الكافر.

- اقترب من باب المرحاض وقلبه يزداد نبضا، ويداه تمسكان بالسكين بكل قوة، وبدأت تسري في جسده قشعريرة وارتجاف.

في لحظة غير منتظرة فتح الأستاذ الباب، أظفا مجان الضوء وانقض عليه كالنسر وغرز في رقبتة السكين حتى شعر بدخوله كله.

الآن عرفت لما سمي السكين سكيئا، لأنه يريح ويسكن مثل هذه الأرواح.

أمسك الأستاذ بيديه طرفي الباب للحظة وأحدث صوت متقطع، ثم سقط إلى الخلف، سقط وسط قصعة المرحاض التي امتلأت بالدم، وكانت آخر كلمة قالها هي: آه... ماذا فعلت؟

لم يصرخ بل لم يتنفس، لم يسمع له حس بعد أن كتم مجان فمه بيده اليسرى، شهق بعمق ثم انقطع صوته إلى الأبد، دقيقة واحدة كانت كافية للقضاء عليه.

قفز مجان إلى خارج الثانوية عبر السور، تاركا خلفه جثة هامدة مغروزا فيها السكين.

كان يرتجف ولا يدري أين يذهب، ثيابه ملطخة بالدماء،
اقترب من حوض الماء الحديدي المخصص لعمال الأشغال
والبناء، قام بغسل يديه ثم نزع السترة التي تغطيه
والمصنوعة من الفرو والمزينة بالكثير من القلوب الحمراء،
قام بإخفائها تحت الحوض، وأكمل طريقه متجهاً إلى محطة
الحافلات للعودة إلى القرية التي يسكنها.



(20)

ركب عبد الله الحافلة المتجهة إلى قريته وهو يحمل بعض الأدوية بخطواته العرجاء، جلس على كرسي في مقدمة هذه المركبة وراء السائق مباشرة ولما كان البرد شديد أغلق النافذة التي بجانبه، ثم التفت إلى الخلف، رأى حوالي خمسة ركاب، إلا أنه لم يتعرف عليهم، رغم أنهم يتجهون إلى قريته، جلس بمفرده ينظر عبر النافذة، إلى تلك الأشجار والأعمدة الكهربائية التي تجري إلى الخلف، تركض عكس اتجاه الحافلة...

مرت الحافلة بالمدينة حيث أبطأت من سرعتها وكبح السائق فراملها في موقف الحافلات لصعود بعض الركاب.

- المفاجئة التي حدثت في ذلك المكان وفي تلك اللحظة هي صعود مجان، الذي التقت عينه بعين عبد الله إلا أنه لم يكلمه بل تجاهله كأنه لا يعرفه.

قال عبد الله في سره: الخائن، يريد الهروب من الثانوية بعد أن تم طرده منها.

دامت هذه الرحلة حوالي ساعتين، حيث وصل عبد الله ومجان إلى القرية مع غروب الشمس.

سار عبد الله وخلفه مجان، ولم يكلم أحدهما الآخر، افترقا في النقطة التي التقيا بها منذ يومين.

لما وصل عبد الله إلى البيت سحب المفتاح من سترته. ادخل المفتاح في مكانه، أداره نحو اليمين دورتين ثم دفع الباب فلم يفتح، ثم أعاد الكرة إلى اليسار ثم دفع فلم يفتح، دق الباب دقات قوية، ثم نادى: أبي، أبي.

اكتشف أن الباب مغلق من الداخل بواسطة مزلاج، اقترب منه الجار المسعود يستفهم عما يحدث.

سأل عبد الله المسعود: هل رأيت والدي اليوم؟

المسعود: لم أره، كنت أعتقد أنه مسافر.

دفعوا الباب معا بقوة، فانفتح بعدما انسلت المسامير عن المزلاج وألواح الباب.

مشى في الحوش متجها إلى غرفة والده، فإذا هي مغلقة.

نادى مرة أخرى: أبي أبي

دفعوا باب الغرفة دفعة قوية، فانكسر الباب.

وقف عبد الله أمام المدخل، رأى والده طريح الفراش، بالقرب منه قارورة غاز وموقد، اشتم رائحة الغاز حدث كل ذلك في لحظة وبدون وعي منه، أشعل المصباح ليبري ما في هذه الحجرة.

انفجرت الغرفة بمن فيها، سقط عبد الله والجار المسعود إلى الخلف، وبعد لحظات سمع عبد الله صوت يشبه صوت والده وهو ينادي: استيقظ يا بني استيقظ يا عبد الله.

